

## اطلالة على مكتبة

# آية الله العظمى مرعشى نجفى

□ سيّد محمود مرعشى نجفى

الاشرف - بدراسة العلوم الاسلامية في معاهدها الدينية العريقة، و ما ان أخذ شوطا من العلم و الفضيلة، ألمه ما رأى من سرقة التراث و عدم الاهتمام به سيما المخطوط، فشمّر السواعد و شحذ الهمم لحفظه و صونه و ابقائه في متناول المسلمين. و في هذا المجال تحمل المصاعب الجسام و كابد و لم يكل، فلم يكن في سعة من المال فاضطره الامر الى العمل ليلا في مصانع الرز، و اداء الصلاة نيابة، و كذا الصيام لقاء اجرة و الابدع من ذلك حذف وجبة طعام من قوته اليومي سنوات كي يوفر المال لذلك، حتى إنه قضى ليلة في السجن لتشاجره مع سمسار الانكليز لمحاولة منعهم من اخراج نسخة فريدة من كتاب رياض العلماء، و الاعجب ان الامام المرعشى انتقل الى بارئه و هو لم يحج، اذ لم يكن يوما مستطيعا للقيام بهذا الواجب، فكلما توفر لديه المال اللازم اشترى به الكتب و المخطوطات، و عندما توفي الامام قد تجاوز ال: ٩٠ عاماً، لم يكن له من مال الدنيا غير ٨٠٠ تومان أي ما يعادل ٥ دولارات اميركيه فحسب، رغم انه كان احد مراجع الامامية في مدينة قم و العالم الاسلامي.

### الوحدة الاسلامية

لقد نشد الامام الهمام الوحدة الاسلامية منذ اكثر من نصف قرن، و بدأ بالتخاطب و المكاتبة مع علماء المسلمين في شتى اقطار الدنيا: كـمصر و المغرب و سوريا و اليمن و العراق و اندونيسيا و باكستان و الهند، حتى عدّه البعض بانه بات من أهل السُنّة و الجماعة، و بلغت اجازاته المتبادلة في روايات الحديث و بعضها مديح اكثر من اربعمائة اجازة

### اشاره:

به دعوت مسئولان و برگزارکنندگان همایش وحدت اسلامی در سوریه، حضرت حجت الاسلام دکتر سید محمود مرعشی در سال جاری به شهر حلب، دعوت و در تالار اجتماعات دانشگاه در همایش شرکت کرد. در این همایش بسیاری از عالمان شیعه و اهل سنت از سراسر جهان حضور داشتند و ریاست محترم کتابخانه سخنانی در معرفی کتابخانه ایراد کردند که مورد عنایت حاضران قرار گرفت. آنچه در ذیل آورده می شود، متن کامل سخنرانی ایشان است. - میراث شهاب.

لقد تجشم المرحوم آية الله العظمى شهاب الدين المرعشى النجفي، العناء الكبير و بذل الغالي و النفيس و افنى العمر في سبيل العلم و نشر التراث، بدأ الامام المرعشى - الذي ولد في النجف الاشرف عام ١٣١٥ هـ - في عائلته علمائية فاضلة، فكان اسلافه من العلماء والروحانيين، هاجروا عبر القرون الماضية من ايران الى النجف

بم، بدأ نشاطه في التدريس في معاهدها العلمية و الدينية، وقام الى جانب ذلك بتأسيس المدارس و مراكز الابحاث و المكتبة العامة، اضافة الى جمع التراث المخطوط بصورة مستمرة، حيث جمع حوالي ٢٠٠٠ مخطوطة في النجف و نقلها بصورة رسميه الى ايران.

### المكتبة العامة

بدأت رحلة التأسيس الحقيقي للمكتبة في ايران حيث انطلقت بحجرتين، و تطورت رويداً رويداً الى المبنى الحالي المؤلف من اربعة ادوار بمساحة خمسة الاف متر مربع و ذلك في عام ١٩٧٤، و بمرور الزمن و مع تضاعف عدد الكتب المطبوعة و المخطوطة، و بعد تجربة الحرب المفروضة على ايران من قبل العراق، حيث تعرضت مدينة قم لاكثر من سبعين غارة جوية و صاورخيه، أمر الامام الخميني رئيس الوزراء حينها بتشيد بناء يليق بالتراث العلمي للمسلمين، يكون محكماً يقيه القنابل و الصواريخ. فتولت مؤسسة الصناعات الدفاعية، بناء هيكل المبنى الجديد، الواقع الى جوار البناء الفعلي و ذلك في سبعة ادوار، اثنان منها تحت الارض، حيث ستكون مخازن المخطوطات و ما نسميه نحن به: قلعة الكتاب، و قد تم البناء وفقاً للمواصفات الفنية العالمية الحديثة.

و بعد شهرين من وضع حجر الاساس بيديه الشريفتين، لبي الامام المرعشي الذي كان والى يومه الاخير يقوم باعماله الشخصية بنفسه، نداء ربه في صيف عام ١٩٩٠ بعد ان مارس التدريس في معاهد النجف و قم فترة ٧٠ عاماً خرج خلالها الاف الطلبة و الروحانيين، كان جلهم من فطاحل العلماء و ممن انتفع بهم الدين الحنيف.

### من وصيته

و رغم انه كان يمتلك بقعه خاصة في الروضة المعصومية، التي أم فيها الصلاة في اوقاتها الخمسة لمدة زادت عن النصف قرن بلا انقطاع.

كتب في وصيته، التي عدت بمثابة سفينة النجاة، «ادفوني عند اقدام محققي العلوم الاسلامية لتطاني و أنا في تربتي» فكانما اراد ان يكون مع الكتاب و هو في تربته.

و في جانب آخر من وصيته طلب ان تدفن معه سجادة الصلاة التي اقام عليها صلاة الليل (القيام) اكثر من ٧٠ عاماً.

من كبار العلماء و الائمة في العالمين العربي و الاسلامي، و قد رحل البعض منهم و مازال آخرون في خدمة الاسلام و المسلمين، و فقههم الله و رحم الراجلين منهم أمين رب العالمين. [نخص بالذكر منهم العلامة الفقيه محمد بخيت المصري الحنفي مفتي القاهرة. العلامة الفقيه يوسف الدجوي المالكي. العلامة المؤرخ محمد راغب طباطبا الحلبي. العلامة عبدالحفيظ الفاسي المالكي المغربي. العلامة محمد طاهر بن عاشور المالكي المغربي. العلامة الشيخ احمد كفتار و مفتي الديار السورية. العلامة ابراهيم الرفاعي البغدادي. العلامة ابراهيم الجبالي. العلامة محمد بهجت البيطار الدمشقي. العلامة محمد بن زياره اليميني الزبيدي. العلامة احمد بن زياره مفتي الديار اليمينية. العلامة سيف الدين طاهر الاسماعيلي. العلامة محمد الهندي الكجراتي.] و قد صدرت الاجازات في مجلدين بعنوان «المسلمات في الاجازات».

### الدراصة

اذا اردنا الحديث عن الامام المرعشي في جوانب اخرى من حياته؛ التي افناها في طلب العلم، فأن الوقت سيضيق علينا، فقد برع هذا العالم الهمام في كل واد و ميدان لخلوص النية و التعبد فقد تلمذ على يد كبار الاساتذة و المراجع في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، فدرس العلوم الدينية، و الرياضيات، و الطب، و العلوم الغربية، و العرفان، و الادب، و القرآن، و التفسير، و الحديث، و الرجال، و التراجم، و الاديان، و الفلسفة، و الانساب، و لم يكن تلمذه عند ائمة الشيعة و علمائهم فحسب، بل كان له اساتذة من الزيدية و اهل السنة في العراق و الهند، و حصل على درجة الاجتهاد و استنباط الاحكام الشرعية و هو في العقد الثالث من العمر.

### التأليفات

بدأ بتأليف رسائله و مصنفاته التي تجاوزت المائة و الخمسين و جلها مخطوط حتى الان، بعضها رسائل قصيرة لا تتجاوز عدة و ريبقات و البعض الاخر تجاوز ثلاثون مجلداً، و منها كتاب (ملحقات الاحقاق) في فضائل و مناقب الائمة الطاهرين من اهل البيت، حيث أعتبر كتاب العام في ايران سنة ١٩٩٥، و قد صدر في ٣٧ مجلداً.

و بعد الانتقال الى ايران و الاستقرار في مدينة قم، حيث تم الامر نزولاً عند رغبة الامام عبدالكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية



## المبنى الجديد

تبلغ مساحة البناء الجديد ستة عشر الف متر مربع تضاف الى خمسة الاف متر مربع في المبنى القديم المجاور، اما عدد الموظفين البالغ ١٢٠ موظفاً فانه سيتضاعف بالانتقال الى المبنى الجديد المقرر افتتاحه بصورة رسمية العام المقبل، حيث تستقر فيه بعض الوحدات حالياً.

## خدمات على مدار ١٢ ساعة

تستقبل المكتبة المفتوحة من الصباح وحتى المساء على نوبتي عمل - روادها على مدى ١٢ ساعة، حيث خصص يومان لمراجعة النساء - حيث باتت المرجع الاول لمختلف الكتب المطبوعة والمخطوطات ليس في ايران فحسب، بل في انحاء العالم و يراجعها يومياً اكثر من ٢٠٠٠ من طلاب العلوم و المحققين في صالة المطالعة العامة، حيث يفتش بعضهم الارض لضيق المكان، اضافة الى صالة المطالعة الخاصة بالباحثين و المحققين، التي تزدان على الدوام بمراجعة اساتذة و باحثين من خارج ايران أيضاً.

## المخطوطات كنوز المكتبة

ان رفوف المخازن الخطية تحتوي على اكثر من ثلاثين الف مجلد خطي، يحتوي بعضها على عشرات الرسائل و يتجاوز مجموع العناوين ٥٠ ألف عنوان، و يعود تأريخ نسخ البعض الى اكثر من الف عام، و جلّ المخطوطات باللغة العربية، و الغالبية منها من كتب اهل السنة، و هناك الكثير من كتب الشافعية و الحنفية و المالكية و الحنبلية، و ليست المخطوطات الفريدة منحصرة في العلوم و الفروع الدينية و الاسلامية [ فهناك - و اضافة الى الفقه، و الاصول، و الكلام، و الحديث، و الفلسفة، و العرفان، و التأريخ، و الرجال، و التراجم، و اللغة، و العلوم القرآنية، و الادعية - مخطوطات في الشعر، و الطب و الهيئة، و النجوم، و التقويم، و الكيمياء، و الرياضيات و الحساب، و الجغرافيا، و العلوم الغربية، مثل: الرمل، و الجفر، و الاسطرلاب، و كذا تفسير الاحلام، و الانساب، و الموسيقى... الخ

## فهرس المخطوطات

يضاف الى ماورد فقد عمدت وحدة الابحاث و الفهرسة الخطية في

المكتبة، و منذ اكثر من عقدين من الزمن، على تقديم فهرست لمخطوطات المكتبة مع تعريف مبسط و قد تم حتى الان اصدار ٢٧ مجلد من فهارس مخطوطات المكتبة و ستصدر قريباً ثلاثة اجزاء اخرى و قد شملت الفهرسة حوالي ثلاثة عشر الف من مخطوطات المكتبة، منها احد عشر الف عنوان غير مكرر و يعتقد ان يبلغ عدد مجلدات الفهرست ٦٠ مجلداً، ناهيك عن المخطوطات الجديدة، حيث تم في خريف العام الماضي شراء اكثر من اربعمائه مخطوطة مُنتقاة، اضافة الى الموقوفات التي تتقاطر على المكتبة، تخليداً لذكرى مؤسسها الراحل. نذكر هنا انه تم اصدار ٦ مجلدات من فهرس مخطوطات المكتبة باللغة العربية بأسم «التراث العربي في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي» و العمل متواصل لانجاز الثلثين الباقية من المخطوطات.

## النشر و الطبع

نشرأ للتراث الاسلامي الغني، تولت وحدة الابحاث و التحقيقات في المكتبة حتى الان، طباعة اكثر من ١٣٠ من مخطوطات المكتبة، فيما يتولى الباحثون في خارج المكتبة و طلاب الماجستير و الدكتوراه تحقيق و طباعة ١٠٠ مخطوطة في كل عام.

## الخدمات الخاصة

في هذا المجال تقدم المكتبة خدماتها للمحققين و الباحثين الايرانيين و المسلمين و الاجانب، عبر عمليات استنساخ المخطوطات و مراجعة المصورات و النسخ الخطية أحياناً.

## خزانة المطبوعات

اما في مجال الكتب المطبوعة المتوفرة في رفوف المخازن الطباعية باكثر من ثلاثين لغة حية، جلّها باللغة العربية، فهي تتجاوز الـ: ستمائة الف نسخة، لم تعد تستوعبها مخازن المبنى الحالي، حيث يتم خزنها في مبانٍ تابعة بانتظار الانتقال الى المبنى الجديد بصورة رسمية، و سيكون استقرارها على شكل موضوعي، وهي تستوعب في المرحلة الاولى ثلاثة ملايين كتاب. بالطبع تحتوي رفوف المكتبة على كتب مطبوعة لاتقل اهمية عن المخطوطات، يعود تأريخ طبعتها الى القرنين العاشر و الحادي عشر الهجري، و منها انجيل باللغة الارمنية طبع في القرن الخامس عشر الميلادي، و آخر باللغة العربية

طبع في القرن السادس عشر الميلادي، وكتاب القانون لابن سينا في الطب، حيث طبع في ايطاليا عام ١٥٩٣ م.

## المجلات و الصحف

اما علي صعيد المجلات و الصحف فهناك العديد الذي يعود تاريخ طبع بعضه الى اكثر من قرن، وقد تجاوزت العناوين الالفين لمجلات و صحف ايرانية و اجنبية.

اضافة الى ذلك للمكتبة كتب مرجع باللغات الاجنبية كدوائر المعارف و غيرها تتجاوز الـ خمسة الاف نسخة.

و للمكتبة اقسام كثيرة و متعددة، نخص بالذكر منها، قسم المايكرو فيلم، و شبكة المعلومات الكومبيوترية، و الترميم، اضافة الى اجهزة الرقابة، و الاطفاء الالكترونية، و دائرة المعارف.

## الاجراءات الوقائية ضد السرقة و الحريق

و على صعيد اجهزة الرقابة، فالمكتبة مزودة باجهزة تصوير خفية في مخازن المخطوطات و بواباتها، اضافة الى وجود اجهزة ممغطة تكشف عمليات اخراج الكتب غير المرخص بها، ناهيك عن اجهزة الاطفاء المتطورة التي تعمل بشكل اتوماتيكي عبر اجهزة انذار حساسة قبالة الارتفاع المفاجئ لدرجات الحرارة او انبعاث الدخان، حيث يتم اطلاق ١٥٠ كيلوغرام من غاز الهالون في اقل من نصف دقيقة بصورة تلقائية.

## المايكرو فيلم و الانترنت

اما في مجال المايكرو فيلم، الذي يعد القسم الفني المتطور في المكتبة فاننا نواصل تصوير المخطوطات الواردة للمكتبة على افلام ٣٥ ملم و مايكرو فيش، و قد تم الانتقال الى التكنولوجيا الجديدة في عمليات التصوير التي تتم بواسطة «الاسكانر الليزري»، فقد دخل هذا الجهاز - و هو من صناعة شركة زوجل الالمانية - الخدمة ثالثاً بعد مكتبة الكونغرس الاميركي و الارشيف الكندي. حيث تم وصله بالكومبيوتر؛ الذي بإمكان كل قرص مضغوط منه استيعاب عشرات المخطوطات، و سيكون بإمكان الباحثين في خارج ايران و بالانتقال الى المبنى الجديد، الاتصال بالمكتبة عبر تكنولوجيا الانترنت و تقليل عناء السفر عليهم، حيث سيكون

بمقدورهم تصفح المخطوطات عبر الآف الكيلومترات، و ذلك بعد تحويل افلام المايكرو فيلم الى اقراص CD. بالطبع للمكتبة في هذا المجال تبادل ثقافي و فني مع اكثر من ٤٠٠ مركز في العالم.

## اتفاقيات

عقدت المكتبة اتفاقيات كثيرة لتبادل المايكرو فيلم و استنساخ المصورات الفيلمية و الخطية، و قد تم حتى الان عقد الاتفاقيات مع المؤسسات العربية و الاسلامية و الاجنبية.

## الشبكة المعلوماتية

و أما في مجال شبكة المعلوماتية الكومبيوترية فيعمل في هذا القسم اكثر من ٣٠ موظف يقدمون خدمات كومبيوترية للمراجعين في الصالة العامة و المحققين عبر مداخل الكتاب المختلفة اضافة الى ان خدمات الكتاب تتم بواسطة الكومبيوتر، و هناك قسم خاص للابحاث في شبكة المعلوماتية، يقوم باعداد معلومات عن الكتب و المطبوعات و الصحف و المجلات و الفهارس.

## الترميم و صيانة المخطوطات

و أما في ميدان الترميم ذلك الجزء المهم و الحياتي، في الحفاظ على المخطوطات و صيانتها، و اضافة الى دفع البكتريا و الفطريات عبر [مستشفى الكتاب] فهناك كادر مجرب يستخدم في عمله خليطاً من التكنولوجيا الحديثة، اضافة الى اعتماده على الطرق الاصلية و القديمة في الترميم و التلوين. فيتم اولا ادخال جميع المخطوطات الجديدة الى مستشفى الكتاب في عملية حجر صحية، و يتم ادخالها في عنابر محكمة و يتم تبخير مواد سامة و خطيرة للغاية، للقضاء على الاحياء المجهرية و الفطريات التي تأتي على المخطوطات و تدمرها. ان الترميم في بعض النسخ المتهرثة، يستغرق وقتاً طويلاً، قد يصل الى ستة اشهر لكتاب واحد، حيث يتم فيه معالجة الجلود و الخروم و السقطات، اما بالنسبة الى الاصماغ فان المكتبة تحاول ما امكنا الاستفادة من المركبات الطبيعية، ذلك ان المركبات الكيماوية غير معروفة النتائج على المدى البعيد.



## الزيارات والوفود

وأخيراً نشير إلى الأهمية القصوى التي تتمتع بها المكتبة - والتي تعد الثالثة في العالم الإسلامي من حيث المخطوطات والأولى في إيران - فقلما يتوجه وفد علمي أو ثقافي أو سياسي إلى مدينة قم ولا يعرج على المكتبة، الذي ذاع صيتها في الآفاق، ففي سجل الزيارات، تواقع وتواشىح لعلماء، ومفكرين إسلاميين وأجانب، إضافة إلى رؤساء وزراء، ووزراء، وسفراء ومئات الوفود الجامعية والطلابية، وقلما يمر يوم لا تستقبل فيه المكتبة ضيوفاً من إيران وخارجها.

## سجل الزيارات

انتخبنا لكم واحدة من الأشادات التي دونها أحد الزوار الأوربيين من غير المسلمين بعد تفقده المكتبة: «تناهي إلى اسماعي أن المسلمين يؤمنون بالمعجز ويقدمونها، لكنني لم استطع ادراك معنى ذلك أبداً، إلا من خلال زيارتي لهذه المكتبة العملاقة، لقد اذهلني وراعني ما شاهدته ولمسته بيدي شخصياً، فكيف لرجل يشيد هذا الصرح الحضاري لوحده دون مساعدة أحد، أن ما قام به امر تعجز عنه الحكومات، عندها عرفت كيف ينمو العمل بالاخلاص والنية الصادقة، وختاماً نقول اللهم ارحم علمائنا العاملين في مشارق الارض و مغاربها ووقفنا لمتابعة المشوار الذي مضوا فيه. آمين رب العالمين.

يضاف إلى ذلك أن المكتبة قامت حتى الآن بتدريب كوادر من داخل إيران وخارجها في مجال الترميم، وفي هذا عقدت المكتبة اتفاقيات لتدريب كوادر مسلمة من سائر الاقطار العربية والإسلامية ك: (اليمن و جمهوريات آسيا الوسطى).

## دائرة المعارف

وللمكتبة قسم خاص يعرف بدائرة المعارف، يتولى فيه فريق من الاختصاصيين استصدار دائرة معارف لمكتبات العالم، الحاوية على مخطوطات، ومن المقرر أن يصدر المشروع - الذي مازال في بداياته - بثلاث لغات عربية وإنكليزية وفارسية.

## مجلة المكتبة الفصليّة:

وللتعريف بنشاطات المكتبة، هناك مجلة فصليّة، تواصل الصدور في عامها الخامس، و تتطرق إلى شؤون الكتب، والمخطوطات، والمكتبات، والتعريف بالنشاطات الداخلية والسفرات العلمية والإبحاث والكلمات التي يلقيها الأمين العام في داخل إيران وخارجها.